مجلة الجامعة الإسلامية

للغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

العدد : ٧ | الجزء : ١ | يناير - مارس ٢٠٢٣ م

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu. edu. sa

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. عبدالرحمن بن دخيل ربّه المطرفي
(رئيس التحرير)
أستاذ الأدب والنقد المشارك بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي
(مدير التحرير)
أستاذ النّحو والصّرف المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن سالم الصاعدي
أستاذ النّحو والصّرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمّد علي العوفي
أستاذ اللغويّات المشارك بمعهد تعليم اللغة العربّية بالجامعة الإسلاميّة

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمّد بن صالح الشّنطي
أستاذ الأدب والنّقد بجامعة جدارا-الأردن

أ.د. علاء محمد رأفت السّيد
أستاذ النّحو والصّرف والعروض بجامعة القاهرة

أ.د. عبدالله بن عويقل السّلمي
أستاذ النّحو والصّرف
بجامعة الملك عبدالعزيز بجدّة

***

قسم النشر: د. **عمر بن حسن العبدلي**

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمّد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلاميّة

أ.د. محمّد محمّد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. زكي بن سهو العتيبي
أستاذ النّحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة

أ.د. عبدالرزّاق بن فراج الصاعدي
أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الحمّاش
أستاذ اللغويات في جامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. محمّد بن مريسي الحارثي
أستاذ الأدب والنقد في جامعة أم القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنّقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد . تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصّديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية-الخرطوم

د. سليمان بن محمّد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقًا

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

- عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
- مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- مقدّمة.
- صلب البحث.
- خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
- رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	**ما نصَّ السيرافيُّ على خَطَئه وغَلَطِه عند الشعراء في شرحه كتاب سيبويه (دراسة وصفية تحليلية)** د. عبد الله بن عثمان اليوسف	٩
٢)	**الفصل بين (قد) والفعل في الدرس النحوي عرض ومقارنة** د. نايف حميد السناني	٦٧
٣)	**القياس الكوفي في نظر المؤاخذين والمؤيدين رؤية نقدية** د. محمد بن عبدالله السيف	١٠١
٤)	**دَورُ السِّياقِ اللّغَوِيّ فِي تَضْمِينِ المَعَانِي دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيّةٌ فِي أَحَادِيثِ الأَحْكَام** د. عبد الغني عيسى أوياركوا	١٧٧
٥)	**رسائل عَرِيب (١٨١-٢٧٧هـ) النثرية: دراسة سيميائية سردية** د. محمد بن عبدالله المشهوري	٢٤١
٦)	**مبدأ التخيّر بين بلاغة الإنسان وبلاغة اللِّسان** د. هاني بن عبيد الله الصاعدي	٣٠٣

م	البحث	الصفحة
(٧)	**خطاب الصمت في رواية (القندس) لمحمد حسن علوان علاماته ووظائفه** د. منصور بن عبد العزيز المهوس	٣٥٥
(٨)	**بين عبدالقاهر والقرطاجني مقاربة في المصادر الفكرية والمقاييس النقدية** د. منصور بن عمر السحيباني	٤١٥
(٩)	**الموت والخلود في قصص عدي الحربش التاريخية (قراءة تأويلية)** هيفاء بنت محمد الفريح	٤٥٧
(١٠)	**أسس الموازنات عند الرماني في النكت دراسة في الفكر البلاغي الكلي** د. سهير بنت عيسى مرعي القحطاني	٥٤١
(١١)	**التناوب السرديّ في رواية "منزل ١٠٥" لفاطمة المرزوق مقاربة إنشائية** د. داليا عبد الباقي محمد مصطفى	٥٨٩
(١٢)	**الاختيار والتأليف في حماسة ابن الشَّجري (اللوم والعتاب أنموذجا) مقاربة أسلوبية** د. وفاء أحمد جابر أحمد	٦٣٥

أسس الموازنات عند الرماني في النكت

دراسة في الفكر البلاغي الكلي

The Foundations of Balancing from Al-Rummāni's Book al-Nukat, a Study in The Overall Rhetorical Thought

د. سهير بنت عيسى مرعي القحطاني

أستاذ البلاغة والنقد المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية العلوم الإنسانية بجامعة الملك خالد

البريد الإلكتروني: soessa@kku.edu.sa

المستخلص

تتناول هذه الدراسة أسس الموازنات الكلية لدى "الرماني" في رسالته "النكت في إعجاز القرآن"، محاولة لدراسة الفكر البلاغي الكلي، وقد عنيت الدراسة ببيان ضبطه ودقه تقسيمه لأسس جعلها ضابطه لأحكامه على أبلغية الكلام وتفضيل بعضه على بعض؛ لبيان تفرد إعجاز نظم القرآن على سائر البيان، كما عنيت ببيان شمول هذه الضوابط لأجزاء البيان المعتبرة في النظر عند البلاغيين، إذ عني في أسسه بالفروق اللغوية الدقيقة للمفردات، واختلاف التراكيب في المعنى الواحد، والتئام الكلام وتناسبه، وأطلق أحكاما مستنبطة من شواهده التي أوردها، وقد تميزت باطرادها لديه في جميع أبوابه، واحتوائها على رتب مترقية، لكل رتبه منها حكم ينص عليه بلفظ يناسبه.

ومن ثم اقتضى النظر في الدراسة أن تنهج المنهج الوصفي، فأتت في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث موزعة على النحو الآتي: التمهيد ويتضمن ثلاثة مطالب: المطلب الأول: الحاجة إلى وضع الأسس الكلية التي قام عليها الفكر البلاغي، والمطلب الثاني: أثر تنوع ثقافة الرماني في موازناته، والمطلب الثالث: خصوصية رسالة "النكت في إعجاز القرآن" وعلاقتها بأسس الموازنات، المبحث الأول: اعتماد الفروق اللغوية الدقيقة في الترجيح، والمبحث الثاني: اعتماد المراتب في الموازنة، والمبحث الثالث: التزام التعليل في التفضيل، ثم الخاتمة وفيها خلص البحث إلى نتائج عدة من أهمها: دقة نظر "الرماني" وحسن تقسيمه في أسس موازنته، التي اعتمدها للمفاضلة؛ إذ نراه يضع الأساس، ويدرج تحته رتبا مترقية دقيقة، كما يظهر ذلك في أحكامه على الفروق اللغوية للألفاظ، ومراتب أبلغية المعاني، ومطابقة شواهده التي استشهد بها على أحكامه التي أطلقها؛ وفي ذلك دليل اعتماده على البيان العالي في استنباط أحكامه وأسسه التي اعتمدها للمفاضلة وبيان علو إعجاز بيان القرآن الكريم على سائر البيان، والتزامه ألفاظا مقننة تعبر عن أحكام يطلقها في جميع أبوابه.

الكلمات المفتاحية: الرماني، أسس، ضابط، الفروق اللغوية، رتب المعاني، التئام الكلام، صريح اللفظ.

Abstract

The present study investigates the foundations of Balancing from the viewpoint of "Al-Rummani" in his treatise "al-Nukat fī Iʿjāz al-Qurʾān", an attempt to study the overall rhetorical thought. The study was concerned with the illustration of his proficiency and the accuracy of his division of the foundations that he made to regulate his rulings over the eloquence of speech and the preference of some of them over others. The study demonstrated the uniqueness of the miracle of the Qur'an's over the rest of eloquences, as it is concerned with the explanation of the inclusion of these regulations for the parts of the eloquences considered by the rhetoricians. The study was concerned with the foundations in the subtle linguistic differences of the terms, the different structures in the same meaning and the harmony and proportionality of the speech released rulings derived from evidences that he cited. It was distinguished by its regularity with him in all its chapters, and its containment of advanced ranks, each of which had a ruling stipulated by an appropriate wording.

Hence, the study necessitated that it adopts the descriptive approach. It includes an introduction, a preface, and four topics distributed as follows: The preface treated three topics: The first: the need to lay down the overall foundations upon which rhetorical thought was based. The second: the impact of the diversity of al-Rummāni's traditions in his balancing. The third: the specificity of the treatise "al-Nukat fī Iʿjāz al-Qur'ān" and its relationship to the foundations of balancing.

The first topic: adopting subtle linguistic differences in weighting. The second topic: adopting ranks in the balancing. The third topic: the commitment of reasoning in preference. The fourth topic: the correlation between the rhyme and the meanings that are related to it. The conclusion which contained several findings, the most important of which are: the accuracy of "al-Rummāni's" consideration and its good division in the foundations of his comparisons, which he adopted for balancing, as we have seen him laying the foundation, and inserting precise ascending ranks under it, as is evident in his rulings on the linguistic differences of the words, the ranks of eloquence of meanings, and the conformity of his evidence that he cited for his rulings that he made, which proves his reliance on the high eloquence in deriving his rulings and the foundations that he adopted for balancing and the eloquence of the superiority of the miracles of the eloquence of the Noble Qur'an over the rest of eloquences, and his commitment to codified words that express the rulings he makes in all the chapters.

Keywords: al-Rummāni, Foundations, regulations, Linguistic Differences, Ranks of Meanings, Speech Harmony, Explicit Words.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد:

فقد شغلت موضوعات القرآن الكريم وعلومه أذهان الدارسين من قديم، فاهتمّوا بها، وألّفوا فيها المصنّفات الكثيرة، وكان موضوع الإعجاز على رأس تلك العلوم والبحوث التي نالت حظوة عند المفسّرين واللغويين والبلاغيين منذ فجر التأليف في تاريخ حضارة العرب والمسلمين، حيث اجتهد العديد من العلماء في البحث والتنقيب عن مزايا إعجازه في مختلف جوانب علومه لبيان براعة بيانه وبلاغة إعجازه، فمنهم من أثبت الإعجاز اللغوي في الصيغ والمفردات والتراكيب، ومنهم اختار إعجاز النظم في جرسه الصوتي وما تميز به من نغم عذب، وتناسب في الأصوات، ومنهم من وقف على بلاغته الفريدة وبراعة تصويره، ومنهم من تمعّن في بيان إعجازه وقوة معانيه.

ومن ثم تنوعت مناهج النظر في إعجاز القرآن ومظاهره، فاعتمد بعض القوم منهج الموازنة في بيان إعجاز القرآن كما هو عند الباقلاني، أو التحليل كما هو عند "الرماني"، أو التأثير كما هو في رسالة "عبد القاهر الجرجاني"، ومن ثم اختلفت المظاهر المستلزمة بين غلبة النكات والخصائص كما هو عند الرماني، أو تعداد المواقف من بلاغته كما هو عند عبد القاهر الجرجاني فكل منهج له مظاهره.

ولذا كان من الأهمية بمكان ضبط الأصول الجامعة لأفكار العلماء في الإعجاز، وتتجلى الحاجة إلى جمع هذه الأصول لتحقيق أمور ثلاثة: الوقاية من تشتت الفكر، وضمانا لعدم الزيغ، ووضع حد عند النظر والمناظرة؛ حيث إن إهمال الأصول وأسس العلوم هو المدخل لإفساد تراثنا الفكري.

وقد كان للرماني خصوصية في دراسة الإعجاز، فقد وضع أسسا وأصولا تستحق النظر والبحث من حيث وضوح المنهج، واستقامة الوسائل، وتحديد الأسس،

ومن هنا تظهر أهمية هذه البحث في محاولته إبراز الأسس والضوابط للنظر في الإعجاز عند "الرماني".

وتتجلى أهم أسباب تخير البحث في الآتي:

- مغايرة فلسفة الموضوع لكل من تناول الرماني حيث تمحورت الدراسات السابقة حوله إما بالتحليل المحض أو الموازنة أو التأثير ...إلخ، في حين اتجه هذا البحث إلى بيان الأسس الكلية الضابطة لفكره، التي لم يخرج عنها على اختلاف أبوابه وتنوع أبحاثه. ومن ثم عمد هذا البحث إلى محاولة ضبط تلك الأسس وذكرها مصنفة محددة دون استطراد أو توسع في التحليل.
- لفت انتباه الباحثين في البلاغة إلى تأسيس مشروع بحثي يتصل بعلم الأصول للفكر البلاغي سواء عند رواده أو في قواعده.
- حاجة الفكر المعاصر لوضع أسس للتراث تضبط الخلاف وتمنع الزيغ في التراث، ومن ثم كانت غاية البحث هدف رئيس: الوصول إلى الفكر الكلي الحاكم للرماني وقت تأليفه رسالته.

وقد تناولت دراسات كثر قضية الإعجاز تنوع فيها النظر لنواحي القضية ومن هذه الكتب "إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص العربية ومعاييرها" لعائشة بنت الشاطئ، وكتاب "الإعجاز البلاغي" للدكتور محمد أبو موسى، "والبيان في إعجاز القرآن" للخالدي، "ودراسات في الإعجاز البياني" لمحمد بركات حمدي، أو ما نظر منها في منهج علماء الإعجاز في تحليلهم وعرضهم لقضايا الإعجاز ومنها "مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الرماني إلى عبد القاهر الجرجاني" للدكتور عبدالله بانقيب، و"إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميز" للدكتور محمد شادي، وغيرها كثير، واختلفت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بتركيز النظر على الأسس الكلية لنظر الرماني في الموازنة بين ما تفرد به نظم القرآن عن سائر النظوم من

البشر، ومحاولة الدراسة ضبطها وحصرها لتبين قاعدة الرماني في هذه الموازنة.

واتجه البحث إلى محاولة الإجابة عن أسئلة منها:

- ما أهم الأسس الكلية الضابطة لفكر الرماني في دراسته لإعجاز القرآن؟
- ما المنهج الذي سار عليه في موازناته بين إعجاز بيان القرآن وغيره من البيان؟
- هل سارت معه هذه الأسس في الأبواب كلها؟

وقد سار البحث على المنهج الوصفي، وأتى في ثلاثة مباحث تسبقها مقدمة وتمهيد وتعقبها خاتمة وفهارس على النحو الآتي:

❖ التمهيد، وفيه مطالب ثلاثة:

- أولًا: الحاجة إلى وضع الأسس الكلية التي قام عليها الفكر البلاغي.
- ثانيًا: أثر تنوع ثقافة الرماني في موازناته.
- ثالثًا: خصوصية رسالة (النكت في إعجاز القرآن) وعلاقتها بأسس الموازنات.

❖ المبحث الأول: اعتماد الفروق اللغوية الدقيقة في الترجيح.

❖ المبحث الثاني: اعتماد المراتب في الموازنة.

❖ المبحث الثالث: التزام التعليل في التفضيل.

والله الموفق

الباحثة

التمهيد

أولاً: الحاجة إلى وضع الأسس الكلية التي قام عليها الفكر البلاغي:

لا يخفى أن "الرماني" يمثل رافدا من الروافد الأولى والأصيلة للفكر البلاغي، وذلك من خلال نظره في إعجاز القرآن، لاسيما رسالته "النكت في إعجاز القرآن" وفي إيجاز عباراتها وجملها أسس وضوابط وضعها الرماني؛ لتكون طريق نظر لغيره، وهذا يؤكد لنا كون الرماني عمودا من عمد الفكر البلاغي والإعجاز القرآني.

وهذا النهج الذي نهجه الرماني في رسالته يؤكد إدراكه، وإدراك علماء عصره أيضا بمدى الحاجة إلى وضع أسس كلية للفكر البلاغي، وقد تجلت لديه في كتابته عن إعجاز القرآن في نكته، وإن لم يفرد للفكر البلاغي وتقعيده أو تحليله كتابا بالتأليف، إلا أن نهجه الذي سار عليه في بيان إعجاز القرآن قائم على وضع أسس للمفاضلة بين بيان القرآن وغيره من البيان، واضعا في كل رسالته أسسا واضحة المعالم للمتأمل عادّا محصيا لها تارة، مبينا لها بعبارات دقيقة مطردة عنده تارة أخرى كما سيظهر في البحث.

ووضع هذه الأسس والضوابط للفكر البلاغي– وهو سمت سار عليه من يعد رافدا من روافد العلم من علماء الأمة – سبيل لحفظ العلم والتراث البلاغي الثرّ من أمور أربعة هي الأساس في الحفاظ على أي علم، وهذه الأربعة هي: ضبط معاقد العلم، ووقايته من الدخيل، وتيسير تحصيله، وإبراز روافده.

وهذا ما كان عليه تأليف علماء الأمة؛ حيث جمعوا الأصول في جميع العلوم إما نثرا أو نظما، وعنوا بكليات الأمور، ومن ثم لم تأت كتبهم مطولات بل نجدها رسائل

أو ملحا وكتبا صغيره[١]، ولم تأت المطولات والشروح إلا في عصر متأخر عن هذه العصور[٢] ولم يخرج الرماني عن نتاج عصره، لا سيما أن عصره كما عرف لدى المؤرخين كان أوج العصور الفكرية، وجمع أعلى العقول العربية، بل إن فكره كان فكرا كليا، وذلك نظرا لطبيعة عقليته الجامعة بين التأسيس العلمي والمذهبي[٣].

ولا تزال الحاجة إلى ضبط أصول العلوم قائمة في وقتنا الحاضر؛ لأنه أساس تطور العلوم.

ثانيًا: أثر تنوع ثقافة الرماني في موازناته:

تنوعت ثقافة الرماني تنوعا أثر في طريقة ترتيبه للأفكار وجمع المتفرقات والاعتماد على العقل في التنظيم، ونتج هذا التنوع من رافدين: أولهما تنوع شيوخه؛ فلم يقصر طلبه للعلم على شيخ بعينه سواء في العلم الواحد أو في العلوم المتعددة، بل إنه تنقل بينهم فاتصل في النحو بابن دريد وابن السراج والزجاج وهم الشيوخ الذين

(١) كما في رسالة " النكت في إعجاز القرآن" للرماني، ورسالة "بيان إعجاز القرآن" للخطابي، و"الرسالة الشافية" لعبد القاهر الجرجاني.

(٢) كما في شروح التلخيص: مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، و"مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح" لابن يعقوب المغربي، و"عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح" لبهاء الدين السبكي.

(٣) يظهر ذلك جليا في كل قواعد التي كتبها في كتابه "النكت في إعجاز القرآن" ومن ذلك أنه جمع كل ما فصله العلماء في باب التشبيه في أصول أربعة واستشهد لكل منها بشواهد من القرآن، وجعلها عمدا للنظر دون تحليل، ينظر: علي بن عيسى الرماني، "النكت في إعجاز القرآن مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"، تحقيق محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، (ط٣، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م).

حملوا علم البصرة في بغداد، وأخذ عن الاخشيد علم الكلام[١]، ولم يترجم أحد للرماني إلا قرن اسمه بـ (بالنحوي أو شيخ العربية) حيث كانت عربيته عميقة؛ فقد عد في طبقة السيرافي وابن فارس[٢]، وقد كتب في شتى العلوم فكتب في النحو كتابا مستقلة ككتاب " الجمل" و" معاني الحروف" وغيرها وكتب شروحا على كتب الأئمة كشروحه على كتاب سيبويه، وألف في علوم القرآن والإعجاز والتفسير ككتابه "التفسير" الذي ظهرت فيه اعتزاليته[٣].

وكل هذا التنوع بين النحو وعلم الكلام والمنطق والتفسير معاضدا لها مذهبه الاعتزالي أثر في فكره الكلي سواء في الترابط المعرفي الذي أخذه من علم النحو أو الترتيب أو التقسيم الذي أفاده من اعتزاليته ومعرفته بعلم الكلام، إذ لم يكن الكلام عند الرماني علما إلى جانب العلوم الكثيرة، وإنما كان فلسفة صبغت سائر العلوم عنده بصبغته الخاصة وطبعت بطابعه.

ثالثًا: خصوصية (النكت في إعجاز القرآن) وعلاقتها بأسس الموازنات:

للنكت في إعجاز القرآن خصوصية نبعت من عقلية مؤلفها "الرماني" حيث جمعت عقليته بين التأسيس العلمي والمذهبي الذي كان نتاج عقلية المعتزلة التي تجنح إلى الضوابط.

فمن تأسيسه العلمي أنه درس النحو دراسة مبكرة وبرع فيه، كما اهتم بعلم

(١) ينظر: محمد بن أحمد الذهبي، "سير أعلام النبلاء"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة)، ١٦: ٥٣٣.

(٢) ينظر: علي بن يوسف الشيباني، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ٢: ٢٠٥، خير الدين بن محمود الزركلي، "الأعلام"، (ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ٤: ٣١٧.

(٣) ينظر: الذهبي، "سير أعلام النبلاء"، ١٦: ٥٣٣.

الكلام وتعدد شيوخه فيه —كما تقدم ذكره في العنصر السابق – وعلى هذا كان تأسيسه جامعا بين علوم المنطق والنحو، عاضدا ذلك مذهبه الاعتزالي الذي عرف أهله بالعناية بعلم الكلام والحجج والتقسيم ؛ فظهر ذلك جليا في دراسته لإعجاز القرآن في رسالته "النكت في إعجاز القرآن" فبرغم "أن بحثه الإفرادي لفنون البلاغة كان سمه صبغت منهجه ومازته...إلا أن هذا لا يعني أن الرماني لم يكن يمتلك وعيا تكامليا في الرؤية التحليلة؛ كلا فإن كثيرا من الأسرار البلاغية التي كان يكشف عنها تنم عن الوعي التكاملي، بل يشير إلى ذلك إشارة صريحة في بحثه للإيجاز، وينبه إلى وجوب العناية بالنظرة التكاملية عند بحث أسرار البيان وتحليل جماله"(١)

وتظهر هذه النظرة التكاملية في ضبطه معاقد المفاضلة في أسس كلية، ثم تتبع كل أساس كلي رتب مترقية في ذهنه، ملتزما فيها بألفاظ تعد أحكاما مقننة ينطق بها، ومن ثم كانت موازناته قائمة على ضوابط وأسس لا تخفى على متأمل، حيث بدأ بتقسيم الأبواب تقسيما واضحا وعمد فيها إلى المفاضلة بين بلاغة القرآن وبلاغة ما سواه من البيان، وجعل لهذه الأفضيلة وجوها ورتبا لا يتعداها، بل إنها اطردت في كل رسالته، كما سيتجلى ذلك في أثناء البحث.

(١) عبد الله بن عبدالرحمن بانقيب، "مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز– من الرماني ٣٨٦هـ إلى عبد القاهر الجرجاني ٤٧١هـ" (ط١، الرياض: دار كنوز إشبيليا بالرياض– ١٤٣٠هـ): ٤٧–٤٨.

المبحث الأول: اعتماد الفروق اللغوية الدقيقة في الترجيح

ظهر اعتماد الرماني الفروق اللغوية الدقيقة ضابطا في بيان إعجاز بلاغة القرآن ظهورا جليا في رسالته "النكت في إعجاز القرآن" وهو ضابط معتمد لدى علماء الإعجاز وعلماء البلاغة، قال الخطابي في بيان عمود البلاغة: "ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغة"(١) ووافقه على ذلك "عبد القاهر الجرجاني" في قوله: "ولا جهة لاستعمال هذه الخصالِ غير أن تأتي المعنى من الجهة هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظُ الذي هو أَخصُّ به، وأَكْشَفُ عنه وأَتمُّ له، وأَحرى بأن يَكسبه نُبلاً، ويظهر فيه مزية"(٢)، ومن ثم كان تخير اللفظ الدقيق الأخصّ الأشكل الأساس الأول لدى الرماني في الموازنات التي تُجلي إعجاز بيان القرآن من خلال تنوع صورة اللفظة، من حيث مادتها أو بنيتها أو موقعها.

ويتجلى الترجيح بهذا الضابط في عناصر ثلاثة:

أولها: الفرق بين الألفاظ في الدلالة على المبالغة في المعنى.

ثانيها: الفرق بين الألفاظ في تحقيق المعنى وتأكيده.

---

(١) ينظر: حمد بن محمد الخطابي، "البيان في إعجاز القرآن" ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن". تحقيق محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، (ط٣، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م): ٢٩.

(٢) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، تحقيق: محمود شاكر، (ط٣، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م): ٤٣.

ثالثها: الفرق بين الألفاظ في التأثير في النفس.

أولاً: الفرق بين الألفاظ في الدلالة على المبالغة في المعنى:

اعتمد الرماني ضابط الفرق بين الألفاظ في قوة دلالتها على المبالغة في المعنى أساسا في موازنته لبيان إعجاز تخير القرآن للفظ دون سواه، ومن خلال استقراء شواهده التي اعتمدها في الموازنة يتجلى أنه اعتمد أمورا ثلاثة جعلها جهة وعلة لتفاضل الألفاظ في الدلالة على المبالغة في المعنى المراد على النحو الآتي:

أ– علوّ مرتبة دقة اللفظة في بيان المعنى:

ويدخل تحت هذه الجهة شواهد ثلاثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [سورة الحاقة:١١]، وقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأنبياء: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة يس: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الأنبياء:١٥].

نلحظ في الشواهد السابقة اعتماد الرماني على ضابط تخير القرآن الألفاظ الأدق في أداء المعاني المتناسبة مع السياق لبيان جهة الإعجاز في استعمال القرآن لها، ومن ذلك تخير كلمة" طغى" في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [سورة الحاقة:١١] وكلمتي (قذف، ودمغ) قوله: "﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ﴾ [سورة الأنبياء:١٨] في سياق القهر والغلبة؛ حيث بيّن الرماني أن تخير "طغى" على وجه الاستعارة أدق من سواه في الدلالة على المبالغة في المعنى، في قوله إن: "حقيقته علا، والاستعارة أبلغ؛ لأن طغى علا قاهرا، وهو مبالغة في عظم

الحال"[١]، "والطغيان: مستعار لشدته الخارقة للعادة تشبيها لها بطغيان الطاغي على الناس تشبيه تقريب؛ فإن الطوفان أقوى شدة من طغيان الطاغي"[٢]، كما بيّن أن القذف والدمغ أبلغ، بقوله: "فالقذف والدمغ هنا مستعار وهو أبلغ، وحقيقته: بل نورد الحق على الباطل فيذهبه، وإنما كانت الاستعارة أبلغ؛ لأن القذف دليل على القهر، لأنك إذا قلت: قذف به إليه فإنما معناه ألقاه إليه على جهة الإكراه والقهر، فالحق يلقى على الباطل فيزيله على جهة القهر والاضطرار لا على جهة الشك والارتياب، ويدمغه أبلغ من يذهبه لما في يدمغه من التأثير فيه فهو أظهر في الكناية وأعلى في تأثير القوة"[٣].

ولا شك أن استعمال اللفظ على وجه الاستعارة أدق في الدلالة على المبالغة في المعنى لما تحويه من توسيع معاني اللفظ، ونقله من المعنى الأول إلى معان ثوان، كما هو ظاهر في حمل لفظتي "طغى"، "قذف" معنى القهر والغلبة بالإضافة إلى معنى العلوّ، ولما في الدمغ من التأثير.

والرماني وإن أصاب في توجيهه إلا أنه اكتفى بذكر معنى واحد من معاني طغيان الماء وهو "علا" ولم يزد على ذلك لانشغاله بالمعنى الأول، ومن المعاني التي تشترك مع معنى طغى الماء: فاض الماء، وسح، وارتفع، وزاد، ولكن استعمال القرآن كان الأخص الأشكل بالسياق؛ فالسياق في الإخبار عن هلاك قوم نوح وتغطيتهم بالطوفان، فكانت مفردة (**طغى**) أبلغ لما فيها من معنى القهر والغلبة

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٨٧.

(٢) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، (ط١، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م): ٢٩/١١٤.

(٣) "النكت في إعجاز القرآن": ٨٨.

التي تتناسب مع سياق قهر علوّ المتجبرين والغلبة عليهم بعد أن تكبروا على نبينا نوح – عليه السلام– وتجبروا.

وكذلك الأمر في تخير "قذف ودمغ " فلم يرد النظم الحكيم بـ: (ألقى، ولا رمى) ولا بـ(غطى، وأذهب، وستر) فالقذف والدمغ –كما ذكر– الرماني فيهما معنى القهر والعلو على الباطل، وفيهما معان أخر لم يذكرها، ومن ذلك معنى الإبعاد في لفظة القذف الدال على العزة والقهر على أهل الباطل؛ فليس القذف كالرمي؛ إذ إن فيه إبعاد في الرمي؛ فقذف الشّيء يقذفه قذْفاً، إذا رمى به. وبلدة قَذوف، أي طَرُوح لبُعدها تَترامى بالسَّفْر، ومنزل قَذَف وقذيف، أي بعيد(١).

وفي الدمغ معنى الإحناء للحق مع الاعتلاء والغلبة على الباطل: فالدوامغ على حاقّ الرؤُوس الإحناء مِنْ فوقها، واحدتها دامغة، والقهر والأخذ من فوق دمغ.(٢)كما أن فيه معنى الثبات حيث إن الدمغة وصف ثابت لا يتغير، وهذا أبلغ في بيان غلبه الحق على الباطل، وهذا ما يتطلبه السياق.

ومن ثم فقوة دلالة الألفاظ على المبالغة متولد من سعة معانيها التي تحويها، وتولدت هذه السعة من تخير القرآن اللفظ المستعار دون لفظ الحقيقة، ومن ثم علا وأعجز.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة يس:٣٧] علق "الرماني" بقوله: "نسلخ مستعار، وحقيقته: يخرج منه النهار، والاستعارة أبلغ؛ لأن السلخ إخراج الشيء مما لابسه وعسر انتزاعه منه لالتحامه به، فكذلك

(١) ينظر: أحمد بن فارس بن زكريا، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، ٥: ٦٨.

(٢) ينظر: محمد بن مكرم بن منظور، "لسان العرب"، (ط١، بيروت: دار صادر، ١٣٩٨هـ). ٨: ٤٢٤.

قياس الليل"[١] مبينا أيضا دقة تخير القرآن مفردة (نسلخ) على (يخرج) لبيان إخراج النهار من الليل، مكتفيا بمعنى واحد في الموازنة بين اختيار النظم الحكيم وما يناظره من معانٍ، ومما يشاركه في المعنى :(يظهر، يجلي) وفي السلخ –بالإضافة على ما ذكره الرماني من انتزاع الشيء مما التحم به– دلالة خروج الشيء من ظلمه، وخروج البياض بعد السواد، وكل هذه المعاني تتناسب مع سياق إعجاز الله في إخراج ضوء النهار من ظلمة الليل، لا يمكن أن يؤديها لفظ غير السلخ.

كما علق على تخير النظم الحكيم مفردة (خامدين) في قوله تعالى: ﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الأنبياء:١٥] بقوله: "أصل الخمود للنار وحقيقته هادئين، والاستعارة أبلغ لأن خمود النار أقوى في الدلالة على الهلاك، على حد قولهم: طفئ فلان كما يطفأ السراج"[٢]، كما أن في الخمود دلالة ضعف بعد قوة، وإذلال بعد عزّ، ولا يستعمل إلا مع الكثير[٣]، وهذا أدلّ على قوة الله وغلبته عليهم، فبعد أن كانوا متجبرين في الأرض أخمد الله نار بأسهم.

لاسيما أن السياق يتحدث عن ظلم القرى وقصمها بعد قوتها وتمكنها في الأرض، فلذلك شبهوا حين هلاكهم بالنار الخامدة فتضمن تشبيههم قبل ذلك بالنار المشبوبة في القوة والبأس[٤] فكان الإخماد لنار الظلم والتمكن أنسب لسياقه ولا يقوم مقامها الإطفاء، أو الإهلاك، لما في الإخماد من التذكير بسابق وصفهم.

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٨٩.

(٢) السابق: ٩٢.

(٣) ينظر: الحسن بن عبد الله العسكري، "الفروق اللغوية"، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (ط١، القاهرة – مصر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م): ٣٠.

(٤) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٧: ٢١.

ب– زيادة المبالغة في اللفظ عما سواه:

وهو ما اعتمده الرماني في بيان جهة إعجاز قوله تعالى: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [سورة الزخرف:١١]، وقوله: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [سورة مريم:٤]؛ حيث ركز "الرماني" في الشاهدين على أن إعجاز استعمال القرآن لكل من المفردتين عائد إلى ظهور زيادة المبالغة فيهما عما سواهما؛ والفرق بين جهة النظر هذه وما سبقها: أن المعاني في الجهة الأولى ليست قائمة في اللفظ الذي لم يرد به النظم الحكيم وهي قائمة فيما تخيره، أما هذه الجهة فالمعنى قائم في كلا اللفظين: الذي تخيره النظم الحكيم، والآخر الذي لم يرد به، لكنه أقوى وأعمق في الدلالة فيما تخير القرآن، ففي النشر والإظهار معنى الإحياء، لكن المعنى في (النشر) أعلى دلالة على المبالغة من "أظهرنا" قال الرماني: "وحقيقته: أظهرنا به النبات والأشجار والثمار، فكانت كمن أحييناه بعد إماتته، فكأنه قيل: أحيينا به بلدة ميتا من قولك: أنشر الله الموتى فنشروا. وهذه الاستعارة أبلغ من الحقيقة لتضمنها من المبالغة ما ليس في أظهرنا"(١).

كما أن مفردة النشر أبلغ من (أخرج، وأنبت) لما ذكره الرماني، ومناط زيادة المبالغة في (فأنشرنا) دلالتها على الإحياء بعد الموت، وظهور المنشور وبروزه للعين، والكثرة والانتشار؛ فالمادة تدور على الحركة والامتداد والانبساط،(٢)كما أنها تحوي معنى الأثر الطيب إذ إن النشر هو: الريح الطيب، وكل ذلك أليق بسياق سورة الزخرف الذي شمل بيان إنعام الله على العباد وتعدد هذه النعم وزخرفها(٣).

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٩٣.

(٢) إبراهيم بن عمر البقاعي، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م)، ٧: ١٠.

(٣) السابق: ٦: ١٠.

وفي التعبير بالاشتعال في قوله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [سورة مريم:٤] زيادة مبالغة كما ذكر "الرماني" في قوله: "أصل الاشتعال للنار وهو في هذا الموضع أبلغ. وحقيقته كثرة شيب الرأس، إلا أن الكثرة لما كانت تتزايد تزايدا سريعا صارت في الانتشار والإسراع كاشتعال النار...وله موقع في البلاغة عجيب، وذلك أنه انتشر في الرأس انتشارا لا يتلافى كاشتعال النار"(١)

ومن ثم فـ(اشتعل) أعلى في الدلالة على المبالغة في سرعة وكثرة الانتشار، وهذا أدلُّ على مباغتة العمر للإنسان و استعجاله عليه، وهذا أنسب لسياق تضرع سيدنا زكريا – عليه السلام – في طلب الولد من الله عز وجل وبيان شدة تضرعه؛ حيث كان ذلك تمهيدا لما يتضمنه من اضطراره لسؤال الولد، والله يجيب المضطر إذا دعاه، فليس سؤاله الولد سؤال توسع لمجرد تمتع أو فخر، ووصف من ما تشتد معه الحاجة إلى الولد حالا ومثالا. فكان وهن العظم وعموم الشيب حالا مقتضيا للاستعانة بالولد(٢).

ج– تضمن اللفظ معان ثانية تعضد مقصد الكلام وتناسب سياقه:

حيث تنبه "الرماني" إلى كون تخير المفردة التي تحوي معاني ثواني أبلغ وأظهر إعجازا في البيان في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [سورة الفرقان:٢٣] وتعليقه على قوله تعالى: ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ﴾ [سورة البقرة:٢١٤]؛ حيث ذكر أن استعمال (قدمنا) في إحباط عمل الكفار أبلغ. قال: "حقيقة قدمنا هنا عمدنا، وقدمنا أبلغ منه لأنه يدل على أنه

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٨٨.

(٢) ينظر: الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٩: ١٦.

عاملهم معاملة القادم من السفر؛ لأنه [عاملهم] من أجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم، ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم. وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال، وبالمعنى الذي يجمعهما العدل؛ لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل، والقدوم أبلغ لما بينا. وأما هباء منثورا فبيان قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه حاسة"(١) حيث زاد معناها على مجرد القدوم والنظر إلى العمل بما حوته من معنى التحذير من الاغترار بالإمهال، والعدل في معاملتهم؛ لأن إفساد الباطل حق، وقد أصاب وأجاد في توجيهه.

كما أن النظم الحكيم لم يرد أيضا: بـ(أتينا، أو جئنا) فلكل منها سياقه الذي يناسبه، فـ(قدمنا) أليق بالسياق لما فيه من معنى المفاجأة، والسرعة فالقاف والدال والميم أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على سَبْق ورَعْف(٢) وفيه معنى المواجهة، وكل ذلك مناسب لسياق التحذير من الاغترار بطول الأمد، والغفلة عن مراقبة الله وإخلاص العمل، والعمل بأمره وفق ما أمر.

وكذلك تعليقه على احتواء مفردة (الزلزلة) في قوله تعالى: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ [سورة البقرة:٢١٤] معان ثوان غير مجرد الحركة بقوله: "﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ أبلغ من كل لفظ يعبر به عن غلظ ما نالهم. ومعنى حركة الإزعاج فيهما، إلا أن الزلزلة أبلغ وأشد"(٣)؛ ففي مفردة "زلزلوا" دلالة على شدة الاضطراب وعدم الاستقرار على حال، والخوف والقلق أيضا، وكل هذه معان لا تقوم بها مفردة الحركة، أو الزعزعة، أو الهزهزة، أو ما سواها من الألفاظ الدالة على اضطراب الحركة؛ وذلك لأن السياق في

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٨٦، ٨٧.
(٢) ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة"، ٥: ٦٥ مادة (قدم).
(٣) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٩٠.

الحض على تواصل الصبر وعدم اليأس من روح الله، فمهما كان الاضطراب وشدته إلا أن رحمة الله قريب من المحسنين، ونصره أمر محقق للمتقين.

ثانيا: تحقيق المعنى وتأكيده:

وضابط ذلك عنده –كما ظهر لي من خلال استقراء شواهده – أمران:

- ما تحقق في لفظه المعنى وتأكد وقوعه بالحس، سواء كان الحس بصرا أو غيره.
- ما تحقق في لفظه المعنى وتأكد باتساعه وشموله واستغراقه.

الضابط الأول: ما تحقق في لفظه المعنى وتأكد وقوعه بالحس عليه سواء كان الحس بصرا أو غيره.

حيث يظهر من خلال كلام الرماني اعتماده ضابط تحقيق اللفظ للمعنى وتأكيده لها لوقوع الحس عليه، أساسا للموازنة بين الألفاظ وترجيح بعضها على بعض، فتراه يعبر بأحكام صريحة عليها من خلال الشواهد التي تبين تفاوت الرتبة في التأكيد؛ فيعبر تارة بقوله: "بالإخراج إلى ما يدرك بالأبصار"[١] وأخرى بـ"لما فيه من الإحالة على إدراك البصر"[٢] بتحديد الحاسة بذاتها وهذه أعلى الرتب في تحقق المعنى وتأكيده؛ لأنه مما يدرك بالعين، وهذه الرتبة أيضا درجات فنرى الرماني يعبر بكون المعنى يخرج إلى ما يدرك بالإبصار، ويعبر في شاهد آخر بقوله: "لما فيه من الإحالة على إدراك البصر"[٣]، وليس الأول كالثاني؛ فالأول أُخرج وأظهر للإدراك بالبصر، والثاني لم يصل إلى الإخراج بل أحيل فيه المعنى للإدراك بالبصر، وهاتان الرتبتان متناسبتان حقا مع الشواهد التي استشهد بها عليهما؛ فقد استشهد على إخراج المعنى

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٩٢.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق: ٩٠.

لما يدركه البصر بقوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [سورة إبراهيم:١] حيث علق عليه بقوله: "وقال عز وجل: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ كل ما جاء في القرآن من ذكر من الظلمات إلى النور فهو مستعار، وحقيقته من الجهل إلى العلم، والاستعارة أبلغ لما فيه من البيان بالإخراج إلى ما يدرك بالأبصار"(١) واستشهد على الثاني بقوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾ [سورة يونس:٢٤] حيث علق بقوله: "أصل الحصيد للنبات، حقيقته مهلكة، والاستعارة أبلغ لما فيه من الإحالة على إدراك البصر"(٢) وحقيقة إبصار الظلمات والنور أعلى في إدراك البصر لها من إدراك البصر لهلاك النبات؛ لظهوره وعمومه وتكرره . فهو أعلى ولا شك ومن ثم كان حكم "الرماني" بلفظ أعلى دلالة على تأكد المعنى وتحققه وإن كانت المرتبة واحد إلا أنها عنده لدقة نظره درجات.

ونراه تارة أخرى يقول معلقا على تحقق المعنى وتأكده في شواهد أخرى بقوله: "لأنه أظهر بوقوع الحاسة عليه"(٣) و" أبلغ للإحالة على ما يظهر بالحاسة"(٤) و" أبلغ لأن الركن يحس"(٥). وهذه مرتبة ثانية عنده في تحقيق اللفظ للمعنى وتأكيده حيث حدد في الأولى الحاسة بالإبصار، أما هنا فقد جعلها مطلقة، وقد وردت هذه الرتبة عنده بثلاث درجات، تعلو إحداهما على الأخرى فهو يحكم على تحقق المعنى

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٩٠.
(٢) السابق نفسه.
(٣) السابق: ٩٠.
(٤) السابق: ٩٣.
(٥) السابق: ٩٢.

وتأكيده مرة: "بوقوع الحاسة عليه"، ومرة بـ:" للإحالة على ما يظهر بالحاسة" وثالثة بـ"لأن الركن يحس" والحكم بحقيقة وقوع الحس عليه أعلى من الإحالة إلى ما يظهر بالحاسة ومن تعميم ذلك بكونه يحس، وقد ورد هذا الحكم عند الرماني على شواهد ثلاثة، الأول في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [سورة فصلت:٥١] حيث قال فيه معلقا: "عريض ها هنا مستعار، وحقيقته كبير، والاستعارة فيه أبلغ لأنه أظهر بوقوع الحاسة عليه، وليس كذلك كل كثرة. وقيل: عريض لأن العرض أدل على الطول"[١] والشاهد الثاني قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الأحزاب:٤٦] حيث علق بقوله: "السراج ها هنا مستعار وحقيقته مبينًا، والاستعارة أبلغ للإحالة على ما يظهر بالحاسة"[٢] والشاهد الثالث: قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة هود:٨٠] حيث علق عليه بقوله: " أصل الأركان للبنيان، ثم كثر واستعير حتى صار الأعوان أركانا للمعاني، والحجج أركانا للإسلام، وحقيقته إلى معين شديد. والاستعارة أبلغ لأن الركن يحس، والمعين لا يحس من حيث هو معين"[٣] وفي درجات هذه المرتبة دقة نظر للرماني؛ حيث عبر في الشاهد الأول بوقوع الحاسة عليه؛ لأنه الأظهر في الكبر عند العرب؛ لذا ذكر الرماني أن حقيقته (كبير) فاستدل عليه بالمعنى الملازم للعرض؛ فعادة ما هو عريض يكون كبيرا، وهذا أعلى الألفاظ في تأكيد المعنى وتحقيقه، ويأتي لفظ السراج في الشاهد الثاني: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ رتبة ثانية

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٩٠.
(٢) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٩٣.
(٣) السابق: ٩٢.

في تحقيق المعنى وتأكيده؛ إذ إن الحس لا يقع عليه مباشرة، بل يحال على ما يظهر بالحاسة كما عبر الرماني، وليس ما تقع عليه الحاسة مباشرة كما يحال إليها إحالة، وهذا متناسب مع علاقة السراج بحقيقته التي ذكرها الرماني (مبينًا)؛ فالإبانة لا تدرك بالحاسة كما في الشاهد الأول ولكن يحال إليها بما يظهر بالحاسة فأحيل إلى الإبانة في بلاغ الرسالة بما يظهر بالحاسة وهو السراج لجامع الإبانة بينهما.

كما أتى لفظ ركن في الشاهد الثالث: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة هود:٨٠] رتبة ثالثة في تحقيق المعنى وتأكيده، إذ ذكر أنه أبلغ لأنه يحس وهذا أعم من الرتبتين السابقة، وحكم بعلو أبلغيته في العون والمساندة على لفظ "معين" لاحتواء لفظ (ركن) القوة؛ فالراء والكاف والنون أصلٌ واحد يدلُّ على قوَّة. فرُكن الشَّيء: جانبه الأقوى. وهو يأوي إلى رُكْنٍ شديد، أي عِزٍّ ومَنْعَة. ومن الباب رَكَنْتُ إليه أرْكَن. وفلانٌ ركينٌ، أي وقور ثابت[1]. وهذا أدلّ على معنى العون من وجه، والقوة في العون من وجه أخر، كما أنه يحوي معنى القوة في العون حسا ومعنى، وهذا أعلى ولا شك من دلالة لفظة (معين) على العون مجردا.

ثم نراه يحكم بقوله: "بالإحاطة على ما يقع عليه الإحساس" و" للإحالة فيه على الإحساس"، وهذا التعبير ولاشك مرتبة ثالثة بعد مرتبة حدد فيها الحاسة بالأبصار، ومرتبة أكد وقوع الحاسة وإن لم يحددها، أما هنا فقد اتسع مناط إدراك المعنى من الحاسة للإحساس به عموما، وقد استشهد الرماني على هذه الرتبة بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [سورة الأعراف:٤٥]، وقوله تعالى: "﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الأعراف:١٤٩] معلقا على تحقق المعنى

(١) ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة": ٤٣٠/٢ مادة (ركن)

وتأكيده في تخير اللفظ الذي استعمله القرآن بقوله: "العوج ها هنا مستعار, وحقيقته خطأ والاستعارة أبلغ لما فيه من البيان بالإحاطة على ما يقع عليه الإحساس من العدول عن الاستقامة بالاعوجاج"[١] وعلى الشاهد الثاني بقوله: "هذا مستعار وحقيقته: ندموا لما رأوا من أسباب الندم , إلا أن الاستعارة أبلغ للإحالة فيه على الإحساس. لما يوجب الندم بما سقط في اليد؟ فكانت حاله أكشف في سوء الاختيار لما يوجب من الوبال"[٢] جاعلا أيضا هذه الرتبة درجات؛ فوقوع الإحساس أعلى من الإحالة عليه لموجب، وكلا الدرجتين مناسبة للشاهد الذي أورده؛ فإدراك الميل والخطأ لا يحتاج موجبا يحال عليه ليدركه الإحساس، في حين أن الندم الذي عبر عنه القرآن بـ: " سقط في أيديهم" متناسب مع حكم "الرماني" على درجة تحقيق اللفظ للمعنى بأنه إحالة على الإحساس لما يوجب الندم؛ فإدراك معنى سقط في أيديهم لا يقع الإحساس على حقيقته بأنه الندم إلا بإدراك موجب الندم، وهو الضرب باليد وهذه عادة وطبيعة في البشر وهذه إحالة للإحساس.

وأقف على تعبير الرماني بأن القصد من العوج الخطأ، والحقيقة ليست ذلك؛ فالعوج هو الميل وهذا ما ذكر في معاجم اللغة، فالعين والواو والجيم أصلٌ صحيح يدلُّ على مَيَلٍ في الشَّيء أو مَيْل، وفروعُه ترجع إليه.[٣]ولعل الرماني ذكر مستلزم الميل الذي هو الخطأ لكنه ليس حقيقة للعوج.

وفي حكمه بـ"الإخراج إلى ما يقع عليه الإدراك من تخليط الإنسان" مرتبة رابعة أخيرة عنده ولاشك فالإدراك أعم من الحاسة المحددة، ومن الحاسة المطلقة، ومن

(١) الرماني" النكت في إعجاز القرآن": ٩٢.

(٢) السابق: ٩٤.

(٣) ابن فارس "معجم مقاييس اللغة"، ٤/ ١٨٠.

الإحساس عموما، وقد ورد هذا الحكم في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ [سورة الشعراء:٢٢٥] بقوله : "واد هنا مستعار، وكذلك الهيمان، وهو من أحسن البيان، وحقيقته يخلطون فيما يقولون، لأنهم ليسوا على قصد لطريق الحق، والاستعارة أبلغ لما فيه من البيان بالإخراج إلى ما يقع عليه الإدراك من تخليط الإنسان بالهيمان في كل واد يعن له فيه الذهاب"(١) وهذا يتلاءم مع كون الرؤية هنا علمية وليست بصرية؛ فحال هيمان الشعراء في الأودية ليس المقصود به هيمانا يبصر بالعين وإنما يدرك بخلطهم في القول، وربما خروج بعضهم عن الحق في شعره تبعا لما يستدعيه داعي الشعر عنده، وكل ذلك مما يتلاءم معه الإدراك لكون أبعد عن الحاسة أو مجرد الإحساس، فهو يحتاج إلى العقل والتفكر مع الإحساس وهذا هو الإدراك .

فيلاحظ دقة نظر "الرماني" في موازنته ودقته في تخير الألفاظ التي تدل على حكمه، فلم يوحد اللفظ بين الشواهد لأنها لديه درجات ومراتب مدركه.

إلا أن الرماني لم يعلل في شواهده لاختلاف لفظ حكمه على تحقيق اللفظ في شاهد عن آخر، ولعله عول في ذلك على فهم العارفين، كما أنه لم يرتب الشواهد حين أوردها على ما أورده من أحكام، بل تراه يذكر الإبصار في أول شاهد، ثم يفصل بين رتبة وأخرى بشاهد من غيرها ثم يعود إليها بشاهد آخر.

الضابط الثاني: ما تحقق في لفظه المعنى وتأكد باتساعه وشموله واستغراقه:

ويتجلى هذا الضابط لدى الرماني في تعليقه على شاهدين، أولهما: قوله تعالى: "﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا ﴾ [سورة الزخرف:٤] حيث علق بقوله: "وحقيقته أصل

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٩٢.

الكتاب، وهو أبلغ لأن الأم أجمع وأظهر فيما يرد إليه مما ينشأ عنه"[١]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ حيث علق بقوله: "﴿أَفۡرِغۡ﴾ مستعار وحقيقته أفعل بنا صبرا، و﴿أَفۡرِغۡ﴾ أبلغ منه لأن في الإفراغ اتساعا مع بيان"[٢] حيث كان ضابط تفضيل تخير لفظ القرآن ﴿أُمِّ﴾ في التعبير عن اللوح المحفوظ، ولفظ ﴿أَفۡرِغۡ﴾ في طلب المؤمنين الصبر للقاء العدو، في اتساع اللفظ للمعنى الرئيس فشمل الثاني وزيادة، فلفظ الأم بالإضافة إلى كونه أصل يعود له أبناءه فهو يستلزم التفرع؛ فكل ما بعده مما يتصل به متفرع عنه وهذا أشمل وأوسع للمعنى، والإفراغ فيه سعة وتخلل لكل الأجزاء فالفاء والراء والغين أصلٌ صحيح يدلُّ على خُلوٍّ وسَعةٍ[٣]، بخلاف (افعل) فقد يكون على ظاهر الجسد فيشمله خارجيا فقط؛ لذا كان هذا اللفظ أشمل وأوسع للمعاني، ثم إن "الرماني" جمع لهذا اللفظ مع الاتساع البيان حيث قال: "لأن في الإفراغ اتساعا مع بيان" والبيان الذي أراده هو بلاغة الكلمة في تناسبها، لأنه لا يتأتى الاطمئنان القلبي إلا بالإفراغ، ومن ثم تحصل القوة المطلوبة للقاء العدو بالثبات الكامل الذي كان نتاج الاطمئنان.

ثالثا: التأثير في النفس:

وكما اعتمد الرماني على الفرق بين الألفاظ في الدلالة على المبالغة في المعنى، والفرق بينها في تحقيق المعنى وتأكيده ضابطين في الترجيح بين الألفاظ، اعتمد تأثيرها على النفس ضابطا ثالثا للترجيح، ومن ذلك تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٨٧.

(٢) السابق: ٩٠.

(٣) ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة"، ٤: ٤٩٣، مادة فرغ.

﴿تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة التكوير:١٨] بقوله: " وتنفس ها هنا مستعار، وحقيقته إذا بدأ انتشاره، وتنفس أبلغ منه، ومعنى الابتداء فيهما، إلا أنه في التنفس أبلغ لما فيه من الترويح عن النفس"(١)، وعلى قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [سورة السجدة:٢١] بقوله: "حقيقته لنعذبنهم، والاستعارة أبلغ، لأن إحساس الذائق أقوى لأنه طالب لإدراك ما يذوقه؛ ولأنه جعل بدل إحساس الطعام المستلذ إحساس الآلام، لأن الأسبق في الذوق ذوق الطعام"(٢) فرجح أبلغية استعمال القرآن لمفردة تنفس للتعبير عن انتشار الصباح؛ لما لها من أثر في الترويح عن النفس، وهذا أدخل في الامتنان بنعمة الصباح، وكذلك أبلغية "لنذيقنهم" على "لنعذبنهم" راجع إلى تأثيرها في نفوسهم. وهذه دقة وسعة أفق من "الرماني" حيث لم يقف في ضوابطه على الفرق في أداء المعنى أو المبالغة فيه بل تجاوز ذلك إلى أثر اللفظ في النفس وجعله ضابطا من ضوابط تفضيل لفظ على آخر.

ويلاحظ المتأمل أن الرماني اكتفى في اعتماد ضابط الفروق اللغوية الدقيقة أساسا في الترجيح، بذكر المعاني العامة التي يمكن أن تستعمل في معناها، ولم يعدد المفردات التي يمكن أن تحوي هذا المعنى، كما أنه لم يعرج على استعمال الناس لها في ذات السياق أو في الاستعمال العام، والتعريج على ذلك يثبت في الأذهان، ويجلي قوة إعجاز القرآن على كلام كل بليغ، فلو أنه مثلا وازن بين استعمال القرآن للفظ"طغى" في التعبير عن ارتفاع الماء باستعمال الشعراء المفردات الأخرى في التعبير عن الطوفان لكان أظهر في بيان ضابطه، ومن ذلك على سبيل المثال – النظر إلى قول أمية بن الصلت متحدثا عن حادثة الطوفان الذي حلَّ بقوم نوح:

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٩٠.
(٢) السابق: ٩٣.

عَشِـيَّةَ أَرسَـلَ الطوفـانَ تَجـري وَفـاضَ المـاءُ لَـيسَ لَـهُ جِـرابُ[١]

حيث استعمل مفردة (فاض) وفيها معني علو الماء عليهم وزيادته، ولكنها لا تحمل معنى القهر والغلبة التي حوتها مفردة "طغى" كما أن مفردة أفاض في معناها العطاء والهبه والسخاء والإكرام، وليس هذا سياق إهلاك قوم نوح سياقها، كما نرى استعمال امرئ القيس مفردة "يسح " في تعبيره عن الطوفان في قوله:

فأضحى يسح الماء حول كنيفه يكب على الأذقان دوح الكنهبل[٢]

على الرغم من أن السياق يتحدث عن قوته حتى أنه خلع الشجر العظيم المعروف بثباته، إلا أن الشاعر لم يستعمل لفظة دالة على الغلبة القهر كما في استعمال القرآن، بل استعمل (يسح) في الدلالة على كثرة الماء فقط، وفي هذه اللفظة أيضا رقة ولين وعطاء لا تعبر عن قوته كما عبرت مفردة (طغى).

وكل هذا يجلي دقة تخير القرآن لمفرداته وهذا أساس منضبط عن الرماني في بيان إعجاز القرآن.

(١) أمية بن الصلت، "ديوان أمية بن الصلت"، تحقيق: سميع الجبيلي، (بيروت: ط١، دار صادر، ١٩٩٨م): ٢٣.

(٢) امرؤ القيس، "ديوان امرئ القيس"، (بيروت: ط٢، دار المعرفة، ١٤٢٥-٢٠٠٣م): ٦٥.

المبحث الثاني: اعتماد المراتب في الموازنة

وكما اعتمد "الرماني" في موازنته بين بلاغة الكلام على الفروق اللغوية في ترجيح بلاغة لفظ على آخر، يلحظ المتأمل لنكته أنه اعتمد أيضا على بيان مراتب أبلغية الكلام سواء كان في تركيبه أو في معناه، وجعله أساسا رئيسا في منهج موازناته، ويتجلى ذلك في كلامه على النحو الآتي:

أولاً: اعتماد مراتب أبلغية التراكيب:

كما في قوله: "ونحن نذكر بعض ما جاء في القرآن من التشبيه، وننبه على ما فيه من البيان بحسب الإمكان. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾ [سورة النور:٣٩] فهذا بيان قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة، ولو قيل: "يحسبه الرائي ماء" ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغا، وأبلغ منه لفظ القرآن؛ لأن الظمآن أشد حرصا عليه وتعلق قلب به...وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة"[1] حيث وازن بين جملتين في الآية، وجملتين محتملتين، فكانت موازنته في البنى التركيبية، بمعنى أن موازنته أتت لصورة المعنى الواحد؛ فقد قدم كلامه عن معنى واحد، ثم علق على اختلاف بنية التشبيه بين قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾ [سورة النور:٣٩]، وبين ما

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٨٢.

يحتمل من كلام العرب في تصوير ذات المعنى: "ولو قيل يحسبه الرائي ماء ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر"، فهنا المعنى واحد، ولكن اختلف في البنية التركيبية للمشبه به، وقد حكم بأبلغيتهما، ثم قدم بلاغة القرآن في الرتبة لدقة ما تخير من ألفاظ في التركيب، فليس الرائي كالظمآن، وقد ذكر العلة؛ بأن الظمآن أشد حرصا على الماء، وهذا متناسب مع حال الكفار في شدة حرصهم على البعد عن النار، وعضد ذلك بعلو مرتبة هذا التركيب بما فيه من: "حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة " فالموازنة هنا بين تركيب جملتين وليست في دلالة كلمة فقط.

الثاني: اعتماد أبلغية رتب المعاني:

ويمكن تقسم موازنة "الرماني" باعتبار التفاضل في مراتب المعاني إلى ثلاث مراتب:

أولها: ما كان التفاضل راجعا إلى أمر واحد فقط، وهو قوة دلالة المعنى الأول.

ثانيها: ما كان التفاضل راجعا إلى أمرين، بأن يضيف إلى قوة الدلالة على المعنى أمرا بلاغيا آخر كالإيجاز وغيره.

ثالثها: إذا كان التفاضل يرجع إلى ثلاثة أمور، رأسها قوة الدلالة على المعنى.

ويدخل في المرتبة الأولى: تعليقه على ستة شواهد في القرآن، كان تركيزه فيها على قوة الدلالة على المعنى فقط دون عضدها بأي أمر آخر، ومناط قوة الدلالة على المعنى –من خلال تعليقه– وجهان:

الأول: قوة دلالة صريح اللفظ على المعنى، وذلك في تعليقه على قوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ [سورة الحاقة: ٦] حيث قال: "حقيقته شديدة، والعتو أبلغ منه لأن العتو شدة فيها تمرد"[(١)] حيث علت رتبة دلالة صريح لفظ

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٨٧.

(عاتية) على الشدة، بما تحويه من زيادة معنى التمرد، فالعين والتاء والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدلُّ على استكبار[1]. وهذا لا شك أشد إيلاما وأخذا.

والوجه الآخر: قوة دلالة مجاز اللفظ على المعنى، وذلك في تعليقه على الشواهد الآتية:

١- "قال تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [سورة النحل:١١٢] وهذا مستعار، وحقيقته أجاعها الله وأخافها والاستعارة أبلغ، لدلالتها على استمرار ذلك بهم كاستمرار لباس الجلد وما أشبهه. وإنما قيل ذاقوه؛ لأنه كما يجد الذائق مرارة الشيء فهم في الاستمرار كتلك الشدة في المذاقة"[2]

٢- "وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [سورة الإسراء:٢٩]، حقيقته لا تمنع نائلك كل المنع والاستعارة أبلغ لأنه جعل منع النائل بمنزلة غل اليد إلى العنق، وذلك مما يحس حال التشبيه فيه بالمنع فيهما إلا أن حال المغلول اليد أظهر وأقوى فيما يكره"[3]

٣- "وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ [سورة الأنبياء:٦٥] هذا استعارة، حقيقته أطرقوا للمذلة عند لزوم الحجة، إلا أنه يولغ في العبارة بجعلهم كالواقع على رأسه للحيرة بما نزل به من الآبدة"[4]

٤- "وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [سورة محمد:٤] وهذا مستعار، وحقيقته حتى يضع أهل الحرب أثقالها فجعل وضع أهلها الأثقال وضعا لها

(١) ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة"، ٤: ٢٢٥، مادة (عتو).
(٢) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٩٠.
(٣) السابق: ٩٣.
(٤) السابق: ٩٤.

على جهة التفخيم لشأنها"[١]

٥- "وقال تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [سورة المدثر:١١] ذرني ها هنا مستعار، وحقيقته: ذر عقابي ومن خلقت وحيدا بترك مسألتي فيه، إلا أنه أخرج لتفخيم الوعيد مخرج ذرني وإياه لأنه أبلغ، وإن كان الله تعالى لا يجوز عليه المنع، وإنما صار أبلغ؛ لأنه لا منزلة من العقاب إلا وما يقدر الله تعالى عليه منها أعظم. وهذا أعظم ما يكون من الزجر"[٢]

ويلاحظ اطراد ضابطه في الموازنة في مباحثه في الترتيب الداخلي لمراتب الأبلغية؛ حيث يلحظ المتأمل أنه عمد إلى ذات الألفاظ في الحكم على أبلغية مراتب التراكيب في دلالتها على المعاني؛ فقد مايز في موازناته بين ما تقع عليه حاسة بعينها، كما في تعليقه على قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ [سورة النحل:١١٢] حيث قال: "وهذا مستعار، وحقيقته أجاعها الله وأخافها والاستعارة أبلغ، لدلالتها على استمرار ذلك بهم كاستمرار لباس الجلد وما أشبهه. وإنما قيل ذاقوه؛ لأنه كما يجد الذائق مرارة الشيء فهم في الاستمرار كتلك الشدة في المذاقة"[٣] حيث حدد علوّ مرتبة بيان لفظ الاستعارة (أذاقها) لاستمرار المرارة في الفم، كاستمرار مرارة الشده على النفس.

وبين كون قوة المعاني ناتجة عن وقوع عموم الإحساس على المعنى المستعار، كما في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ

(١) السابق:٩٠.

(٢) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٨٨.

(٣) السابق: ٨٧.

﴿ٱلْبَسْطِ﴾ [سورة الإسراء:٢٩]، حيث علق بقوله: "حقيقته لا تمنع نائلك كل المنع والاستعارة أبلغ؛ لأنه جعل منع النائل بمنزلة غل اليد إلى العنق، وذلك مما يحس حال التشبيه فيه بالمنع فيهما إلا أن حال المغلول اليد أظهر وأقوى فيما يكره"(١)، فبيّن أن مناط علوّ مرتبة الاستعارة وأفضليتها في بيان المعنى؛ أن حال المغلول اليد أظهر وأقوى، وهذا ما يرى ويظهر عجزه بالحس عموما.

وبين كون قوة المعاني ناتجة من إدراك حال المشابهة بين اللفظ المستعار والحقيقة، وذلك في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ [سورة الأنبياء:٦٥] الذي علق عليه بقوله: "هذا استعارة، حقيقته أطرقوا للمذلة عند لزوم الحجة، إلا أنه بولغ في العبارة بجعلهم كالواقع على رأسه للحيرة بما نزل به من الآبدة"(٢)، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [سورة محمد:٤] حيث علق بقوله: "وهذا مستعار، وحقيقته حتى يضع أهل الحرب أثقالها، فجعل وضع أهلها الأثقال وضعا لها على جهة التفخيم لشأنها"(٣) فكان مناط علوّ رتبة دلالة لفظ الاستعارة على المعنى فيهما المبالغة في المعنى المدرك بالحس، سواء كان في إدراك حال المشابهة بين الذليل والمكنوس الرأس، وإدراك التفخيم في جعل الحرب هي من تضع الأوزار على جهة التفخيم لشأنها، وبين كون قوة المعاني ناتجة من المجاز العقلي، كما في قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [سورة المدثر:١١] حيث علق بقوله: ﴿ذَرْنِي﴾ [سورة المدثر:١١] ها هنا مستعار، وحقيقته: ذر عقابي ومن خلقت وحيدا

(١) السابق: ٩٤.
(٢) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٩٤.
(٣) السابق:٩٠.

بترك مسألتي فيه، إلا أنه أخرج لتفخيم الوعيد مخرج ذرني وإياه لأنه أبلغ، وإن كان الله تعالى لا يجوز عليه المنع، وإنما صار أبلغ لأنه؛ لا منزلة من العقاب إلا وما يقدر الله تعالى عليه منها أعظم. وهذا أعظم ما يكون من الزجر"[١] فجعل مناط علو رتبة بيان المعنى من الإسناد إلى الله عز وجل ﴿ ذَرْنِي ﴾ من دون العقاب، وصار هذا أبلغ عنده؛ لأنه لا منزلة من العقاب إلا وما يقدر الله تعالى عليه منها أعظم، وهذا أعظم ما يكون به الزجر، وهذا يذكرنا بتعليق الجرجاني على قول الخنساء:

تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ، حتى إذا ادّكَرَتْ فانَّمـــا هـــيَ اقبـــالٌ وَادبارُ[٢]

"وذاك أنها لم ترد بالإقبال والإدبار غير معناهما، فتكون قد تجوزت في نفس الكلمة، وإنما تجوزت في أن جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر، ولغلبة ذاك عليها واتصاله بها، وأنه لم يكن لها حال غيرهما كأنها قد تجسمت من الإقبال والإدبار. وإنما كان يكون المجاز في نفس الكلمة لو أنها كانت قد استعارت الإقبال والإدبار لمعنى غير معناهما الذي وضعا له في اللغة. ومعلوم أن ليس الاستعارة مما أرادته في شيء".[٣]حيث نص على أن التجوز في الإسناد أقوى دلالة على المعنى؛ إذ إن دلالة القوة والعزة والقهر في الإسناد إلى الله عز وجل ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [سورة المدثر:١١] أقوى منها حين يكون الإسناد للعقاب "ذر عقابي".

ويدخل في المرتبة الثانية: ما كان التفاضل راجعا إلى أمرين رأسهما قوة دلالة

(١) السابق: ٨٨.

(٢) تماضر بنت الشريد، "ديوان الخنساء"، تحقيق: كرم البستاني، (ط٣، بيروت– لبنان: دار صادر، ٢٠١٢م): ٤٦.

(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز": ٣٠٠.

اللفظ على المعنى، وآخرهما ما مثل له بالإيجاز تارة، وبالإيماء إلى نكتة في المعنى تارة أخرى، وورد ذلك عنده في تعليقه على شواهد ثلاثة:

١- قوله تعالى: ﴿سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾[سورة الملك:٧-٨].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٧].

٣- وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾ [سورة التوبة:١٠٩].

بأن عضد علوّ مرتبة قوة دلالة لفظ الاستعارة على المعنى بكونه موجزا أيضا في الشاهد الأول، فعلت رتبته في الدلالة على المعنى بدلالة جامع الاستعارة قبح الصوت، وبكون اللفظ موجزا يغنى عن ألفاظ عدة، وهذا أبلغ البيان أن يؤدى المعنى بأعلى عبارة وأوجزها، قال "الرماني": "شهيقا حقيقته صوتا فظيعا كشهيق الباكي، والاستعارة أبلغ منه وأوجز/ والمعنى الجامع بينهما قبح الصوت"(١). وعضد قوة دلالة اللفظ المستعار المعنى باعتمادها على الإيماء إلى نكتة ليست في لفظ الحقيقة في الشاهد الثاني في قوله تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٧] حيث علق الرماني بقوله: "اللفظ ها هنا بالشوكة مستعار، وهو أبلغ/ وحقيقته السلاح، فذكر الحد الذي به تقع المخافة واعتمد على الإيماء إلى النكتة، وإذا كان السلاح يشتمل على ما له حد وما ليس له حد، فشوكة السلاح هي التي تبقى"(٢). كما جمع في الشاهد الثالث: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٨٧.

(٢) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٨٩.

﴿مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ﴾ [سورة التوبة:١٠٩] إلى علوّ مرتبة لفظ الاستعارة وأفضليته في الدلالة على المعنى، بيان اللفظ بما يحس ويتصور، والبناء على المجاز العقلي حيث جعلة هو ريبة بذاته، وليس ذو ريبة؛ حيث قال: "كل هذا مستعار، وأصل البنيان إنما هو للحيطان وما أشبهها، وحقيقته اعتقادهم الذي عملوا عليه، والاستعارة أبلغ لما فيها من البيان بما يحس ويتصور، وجعل البنيان ريبة وإنما هو ذو ريبة، والاستعارة أبلغ، كما تقول: هو خبث كله، وذلك أبلغ من أن يجعله ممتزجا، لأن قوة الذم للريبة"[(١)] وهذا ما نصّ عليه عبد القاهر الجرجاني في نصه السابق في تعليقه على قول الخنساء: ترتع ما رتعت...[(٢)].

ويدخل في المرتبة الثالثة: ما كان التفاضل فيه راجعًا إلى أكثر من أمرين، رأسها علوّ دلالة اللفظ على المعنى وقد ورد ذلك في تعليقه على شاهدين:

١- قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٢].

٢- وقوله تعالى: ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١﴾ [سورة الكهف:١١].

حيث جمع مع علوّ مرتبة لفظ الاستعارة وأفضليته في الدلالة على المعنى المراد، أمرين آخرين عضدا قوته؛ ففي الشاهد الأول عضد قوة دلالة اللفظ المستعار بدلالته على التثبيت والتمكين لكون التمكين به أمر محسوس أولا، ثم بدلالته على شدة الزجر لهم والتنفير ثانيا، فجمع بذلك أمور ثلاثة رأسها قوة الدلالة على المعنى، ويتجلى ذلك في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ

(١) السابق: ٩١.

(٢) ينظر البحث.

﴿إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ بقوله: "والاستعارة أبلغ لما فيه من الدلالة على تثبيت ما حصل عليهم من الذلة، كما يثبت الشيء بالضرب؛ لأن التمكين به محسوس"(١).

وجمع في الشاهد الثاني: ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١﴾ [سورة الكهف:١١] لعلو مرتبة لفظ الاستعارة وأفضليته في الدلالة على المعنى، قوة علاقة المشابهة بينه وبين حقيقة اللفظ أولا، حيث قال: "حقيقته منعناهم الإحساس بآذانهم من غير صمم، والاستعارة أبلغ؛ لأنه كالضرب على الكتاب فلا يقرأ، كذلك المنع من الإحساس فلا يحس"(٢) وكونه أدل على المعنى ثانيا، حيث قال: "وإنما دلَّ على عدم الإحساس بالضرب على الآذان دون الضرب على الأبصار، لأنه أدل على المراد من حيث كان قد يضرب على الأبصار من غير عمى فلا يبطل الإدراك رأسا، وذلك بتغيمض الأجفان، وليس كذلك منع الإسماع من غير صمم في الآذان؛ لأنه إذا ضرب عليها من غير صمم دل على عدم الإحساس من كل جارحة يصح بها الإدراك"(٣) ثم بكون ما تعلق به لفظ الاستعارة أخص في بيان المراد ثالثا، حيث قال: "ولأن الأذن لما كانت طريقا إلى الانتباه ثم ضربوا عليها لم يكن سبيل إليه"(٤). فضرب الآذان أبلغ في بيان المراد من مطلق الضرب؛ لأنها سبيل الانتباه.

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٩١.
(٢) السابق: ٩١.
(٣) السابق نفسه.
(٤) السابق نفسه.

المبحث الثالث: التزام التعليل في التفضيل

ويأتي اعتماد الرماني المفاضلة بين أبلغيه الكلام في هذا المبحث على الالتزام الصريح بالتعليل في التفضيل في كل مواضعه التي استشهد بها، وهذا الأساس متوافق مع قاعدة عبد القاهر الجرجاني في بيان مزية الكلام وفضله على غير في قوله: "وجملة ما أردت أن أبينه لك أنه لا بد لكل كلام تستحسنه، ولفظ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة، وعلة معقولة"(١) وقد اعتمد هذا الأساس عنده– من خلال استقراء كلامه– على ضوابط ثلاثة اعتمدها في التعليل والإقناع للمخاطب بتفضيله لفظ على آخر هي:

١– الاعتماد على الأمور الحسية في التعليل.

٢– الاعتماد على تعدد التعليل وتنوعه.

٣– الاعتماد على التزام حجاجية التعليل.

والفرق بين هذه الضوابط فرق منهجي في الموازنة، ففي الضابط الأول عني الرماني بالأمور الحسية فقط ليعلل سبب تفضيله لبلاغة لفظ على آخر؛ ويجد المتأمل لهذا الضابط اطراد التزام "الرماني" التعليل في بيان أبلغيه اللفظ المختار، مرتبًا إياه رتبًا مترقية من المشاهدة، بتحديد الحاسة تارة، كما في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [سورة الأنعام:٦٨] حيث قال: "كل خوض ذمه الله تعالى في القرآن فلفظه مستعار من خوض الماء، وحقيقته: يذكرون آياتنا، والاستعارة أبلغ لإخراجه إلى ما تقع عليه المشاهدة من الملابسة لأنه لا تظهر ملابسة المعاني لهم

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز": ٤١.

كما تظهر ملابسة الماء لهم"[1]،وباعتماد التعليل على ما يحس عموما تارة أخرى، كما في تعليقه على قوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ﴾ [سورة الأعراف:٢٢]، حيث قال: "وحقيقته صيرهما إلى الخطيئة بغرور، والاستعارة أبلغ لإخراجه إلى ما يحس من التدلي من علو إلى سفل"[2] إلى الانتهاء بالإحالة على ما يتصور تارة، كما في تعليقه على قوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [سورة آل عمران:١٨٧]، حيث قال: "حقيقته تعرضوا للغفلة عنه، والاستعارة أبلغ لما فيه من الإحالة على ما يتصور"[3] فالرماني هنا التزم بالتصريح بالتعليل أساسا منهجيا للمفاضلة بين أبلغية الكلام.

الضابط الثاني: تعدد التعليل وتنوعه:

ويعد تعدد التعليل ضابطا ثانيا مترقيا على الأول في اعتماده التزام تعدد التعليل أساسا في تفضيل أبلغية الكلام بعضه على بعض حيث اشترك مع الأول في التزام التعليل، وترقى عنه في التزام التعدد في التعليل، وعدم الوقوف على سبب واحد ويتجلى ذلك في موازنته بين علوّ أبلغية قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [سورة البقرة:١٧٩] على قول العرب: "القتل أنفى للقتل " حيث صرح بأن بينه وبين لفظ القرآن تفاوت في البلاغة والإيجاز، ولم يقف على علة واحدة بل عدد تعليله لذلك وجمعه في أمور أربعة تتجلى في قوله: "إنه أكثر في الفائدة، وأوجز في العبارة وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة، وأحسن تأليفًا بالحروف المتلائمة. أما الكثرة في الفائدة فيه ففيه كل ما في قولهم: القتل أنفى للقتل، وزيادة معان حسنة، منها إبانة

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٩١.
(٢) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٩١.
(٣) السابق نفسه.

العدل لذكره القصاص، ومنها إبانة الغرض المرغوب فيه لذكره الحياة؛ ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله به. وأما الإيجاز في العبارة فإن الذي هو نظير – القتل أنفى للقتل – قوله: ﴿ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [سورة البقرة:١٧٩]، والأول أربعة عشر حرفا، والثاني عشرة أحرف وأما بعده من الكلفة بالتكرير الذي فيه على النفس مشقة فإن قولهم: القتل أنفى للقتل تكريرا غيره أبلغ منه، ومتى كان التكرير كذلك فهو مقصر في باب البلاغة عن أعلى طبقة، وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس وموجود في اللفظ. فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام ؛ فباجتماع هذه الأمور التي ذكرناها صار أبلغ منه وأحسن، وإن كان الأول بليغًا حسنا"[(١)] حيث جعل لبلاغته أسس أربعة أجملها أولا في: كثرة الفائدة، وإيجاز العبارة، والبعد عن الكلفة بتكرير الجملة، والحسن في التأليف بحروف المتلائمة، ثم فصل فيها كما تقدم، ويظهر بذلك للمتأمل وضوح منهج الموازنة في ذهن "الرماني" واعتماده على الضوابط الكلية ثم تفصيلها إن لزم الأمر، وإن كان لم يلتزم في كل مواضع موازنته بإيراد كلام للعرب ليورد المفاضلة.

الضابط الثالث: الاعتماد على التزام حجاجية التعليل:

حيث يعتمد التعليل هنا على الاستدلال بالعقل والحس ضابطا ثالثا مترقيًّا على الأول، لكونه التزم مع التعليل حجاجية العلة، وقوة الإقناع في تعليل الشواهد الواردة فيه؛ حيث لم يكتف فيه بالتعليل، وإنما عمد إلى إقناع المتلقي بعلته عن طريق العقل تارة، والحس تارة أخرى، والعادة تارة ثالثة، ومن ذلك مزجه بين استدلال العقل وما

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٧٧– ٧٨.

جرى به الحس في العادة في تعليقه على قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ [سورة المائدة:١١٤] حيث استدل على ما هو محسوس، (المائدة) بما ارتبط عادة بأن فيه سرورا للناس (العيد) ومن ثم كانت الاستعارة أبلغ لما للإحالة فيه على ما قد جرت العادة بمقدار السرور به، وفي هذا إقناع بالعلة ولاشك، وذلك في قوله: "حقيقته تكون لنا ذات سرور، والاستعارة أبلغ لما للإحالة فيه على ما قد جرت به العادة بمقدار السرور به"(١)، كما مزج بين الاستدلال على انعدام النفع وعدم إنتاج الخير المحسوس في عذاب يوم عقيم، وبين ماجرت به المعرفة بعد الإنتاج في العقم، بجامع هلاك الإنتاج بينهما، في تعليقه على قوله تعالى: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الحج:٥٥]، إلا أن أحد الهلاكين أعظم، حيث قال: "وعقيم هاهنا مستعار وحقيقته ها مبير، والاستعارة أبلغ لأنه قد دل على أن ذلك اليوم لا خير بعده للمعذبين، فقيل: يوم عقيم، أي لا ينتج خيرا، ومعنى الهلاك فيهما إلا أن أحد الهلاكين أعظم"(٢).

كما يتجلى الإقناع العقلي في تعليقه على قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [سورة الإسراء:١٢] حيث قال: "فمبصرة ها هنا استعارة، وحقيقتها مضيئة، وهي أبلغ من مضيئة؛ لأنه أدل على موقع النعمة، حيث يكشف

(١) السابق: ٩١.

(٢) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٨٩.

عن وجه المنفعة. قيل: هو بمعنى ذات إبصار وعلى هذا يكون حقيقة"[١] وتعليقه على قوله تعالى: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة الذاريات:٤١] حيث قال: "العقيم مستعار للريح، وحقيقته ريح لا يأتي بها سحاب غيث، والاستعارة أبلغ لأن حال العقيم أظهر من حال الريح التي لا تأتي بمطر؛ لأن مالا يقع من أجل حال منافية أوكد مما يقع من غير حال منافية وأظهر"[٢]، حيث اعتمد فيها على حجاج العقل في بيان أبلغية البيان ولم يقف على التعليل؛ فقد علل أبلغية مبصرة بأنها أدل على موقع النعمة، وأكد إقناعه بأن في ذلك كشفا لوجه النعمة، واقنع العقل ببيان وجه هذا الكشف بأنه بمعنى ذات الإبصار، وذات الأبصار هي وجه المنفعة فنفع الضوء إنما هو للإبصار به، وليس لأجل الضوء ذاته.

كما أقنع المخاطب بأبلغية استعمال "العقيم " وصفا للريح المهلكة ؛ لأن حال العقيم أظهر من حال الريح التي لا تأتي بمطر، حيث قال: "وبين وجه هذه الإحالة بأن مالا يقع من أجل حال منافية أوكد مما يقع من غير حال منافية وأظهر"[٣] أي أن انتفاء الوقوع لانتفاء علته، أدل وأكثر إقناعا من نفي الوقوع مجردا عن العلة، كما ورد في نفي التعدد الألوهية لانتفاء الحال، وهو الفساد هذا أوقع في نفي الوقوع من نفي التعدد مجردا من حال منافية له قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢] وبذا لم يقف الرماني على

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٨٨.
(٢) السابق: ٩٣.
(٣) السابق: ٩٣.

بيان العلة، وإنما ترقى إلى بيان حجاجيتها بمخاطبة العقل فيها.

أما في تعليقه على قوله تعالى: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [سورة يس:٥٢] فقد اعتمد دورانه على الحس عادة، وهذا أظهر من الحس فقط؛ لأنه محسوس ومتكرر؛ ولذا علل بقوله: " أصل الرقاد النوم وحقيقته من مهلكنا، والاستعارة أبلغ؛ لأن النوم أظهر من الموت، والاستيقاظ أظهر من الإحياء بعد الموت؛ لأن الإنسان الواحد يتكرر عليه النوم واليقظة، وليس كذلك الموت والحياة"[١] مؤكدا حجته بأن هذه العادة متكررة، وهذا أرقى وأوضح من مجرد حدوثها.

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٩٣.

الخاتمة

وبعد تتبع أسس الموازنة والمفاضلة بين البيان لدى " الرماني" خرجت الدراسة بنتائج عدة أجمل أهمها في الآتي:

- ضبط الرماني معاقد المفاضلة في أسس كلية شملت أجزاء البيان المعتمد في النظر عند البلاغيين (مفردات، وجملا، وتراكيب).
- اطراد الأسس ووضوح المنهج الذي اعتمده "الرماني" في جميع أبوابه.
- دقة نظر "الرماني" وحسن تقسيمه في أسس موازنته، التي اعتمدها للمفاضلة بين أبلغية البيان؛ إذ نراه يضع الأساس، ويدرج تحته رتبا مترقية دقيقة، كما يظهر ذلك في أحكامه على الفروق اللغوية للألفاظ، ومراتب أبلغية المعاني، وغير ذلك مما ورد تفصيله في الدراسة.
- مطابقة شواهد "الرماني" التي استشهد بها على أحكامه التي أطلقها؛ وفي ذلك دليل اعتماده على البيان العالي في استنباط أحكامه وأسسه التي اعتمدها للمفاضلة وبيان علو أعجاز بيان القرآن الكريم على سائر البيان.
- التزام "الرماني" ألفاظا مقننة تعبر عن أحكام يطلقها في جميع أبوابه، كقوله في سبب تفضيله لبيان على بيان: "لما فيه من الإخراج إلى ما يدرك بالأبصار، ولما فيه من الإحالة على إدراك البصر... وغير ذلك كثير مما ذكر في مباحث الدراسة.

استدراك على بعض ما نهجه "الرماني" في موازناته:

- اكتفاء "الرماني" بمفردة واحدة يورد عليها المفاضلة، ولا يورد ما يشاركها في

المعنى من مفردات أخر، وهذا أقوى في بيان علوّ بيان القرآن على كل بيان.

- غياب تعليل "الرماني" اختلاف لفظ حكمه في شاهد عن آخر.
- غياب ترتيب "الرماني" الشواهد التي يوردها على رتب أحكامه، الظاهر ترقي الرتب فيها ظهورا جليا للمتأمل.
- غياب تعريج "الرماني" في موازناته على استعمال الناس في ذات السياق أو في السياق العام، لاسيما في أحكامه على بلاغة الفروق اللغوية بين المفردات.

المصادر والمراجع

امرؤ القيس. "ديوان امرئ القيس". (ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٥-٢٠٠٣م).

بانقيب، عبد الله بن عبد الرحمن، "مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز- من الرماني ٣٨٦هـ إلى عبد القاهر الجرجاني ٤٧١هـ"(ط١، الرياض: دار كنوز إشبيليا بالرياض- ١٤٣٠هـ).

البقاعي، إبراهيم بن عمر. "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. "أسرار البلاغة". تحقيق: محمود محمد شاكر، (ط١، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ١٩٩٢م).

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود شاكر. (ط٣، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

الخطابي، حمد بن محمد. "بيان إعجاز القرآن الخطابي". ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن". تحقيق محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام. (ط٣، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة).

الرماني، علي بن عيسى. "النكت في إعجاز القرآن". مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن". تحقيق محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام. (ط٣، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م).

الزركلي، خير الدين بن محمود. "الأعلام". (ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).

الشريد، تماضر. "ديوان الخنساء". تحقيق: كرم البستاني. (ط٣، بيروت: دار صادر، لبنان، ٢٠١٢م).

ابن الصلت، أمية. "ديوان أمية بن الصلت". تحقيق: سميع الجبيلي. (بيروت: ط١، دار صادر، ١٩٩٨م).

ابن عاشور، محمد الطاهر. "التحرير والتنوير". (ط١، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

العسكري، الحسن بن عبد الله. " الفروق اللغوية". تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (ط١، القاهرة — مصر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م).

ابن فارس، أحمد بن زكريا. "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

القفطي، علي بن يوسف الشيباني. "إنباه الرواة على أنباه النحاة".

ابن كلثوم، عمرو. "ديوان عمرو بن كلثوم". تحقيق: إميل بديع يعقوب. (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١١هـ-١٩٩١م).

ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط١، بيروت: دار صادر، ١٣٩٨هـ).

Bibliography

Imru' Al-Qays. "Dīwān Imri' Al-Qays". (2nd ed., Beirut: Dār Al-Ma'rifah, 1425-2003).

Al-Biqā'ī, Ibrāhīm Ibn 'Umar. "Naẓm Al-Durar fī Tanāsub al-Āyāt wa-al-Suwar". (1st ed., Beirut: Dār Al-Kutub Al-'Ilmīyah, 1415 AH-1995).

Al-Jurjānī, 'Abd al-Qāhir Ibn 'Abduraḥmān. "Asrār al-balāghah". investigated by: Maḥmūd Muḥammad Shākir, (1st ed., Maṭba'at Al-madanī -Cairo, Dār Al-madanī -Jiddah, 1992).

Al-Jurjānī, 'Abd al-Qāhir Ibn 'Abdurraḥmān. "Dalā'il Al-I'jāz". Investigated by: Maḥmūd Shākir. (3rd, Maṭba'at al-Madanī Cairo: Dār al-Madanī –Jeddah: 1413 AH-1992).

Al-Khaṭṭābī, Ḥamad Ibn Muḥammad. "Al-Bayān fī I'jāz Al-Qur'ān Al-Khaṭṭābī". ḍimna thalāth Rasā'il fī I'jāz al-Qur'ān". Investigated by: Muḥammad Khalaf Allāh, Dr. Muḥammad Zaghlūl Sallām. (3rd ed., Cairo: Dār al-Ma'ārif bi-Miṣr, 1976).

Al-Dhahabī, Muḥammad Ibn Aḥmad Ibn 'Uthmān. "Siyar A'lām Al-Nubalā'. Investigated by: Shu'ayb Al-Arna'ūṭ. (2nd ed., Beirut: Mu'assasat Al-Risālah).

Al-Rummānī, 'Alī ibn 'Īsá. "Al-Nukat fī I'jāz Al-Qur'ān". maṭbū' ḍimna: thalāth Rasā'il fī I'jāz al-Qur'ān". Investigated by: Muḥammad Khalaf Allāh, Dr. Muḥammad Zaghlūl Sallām. (3rd ed., Cairo: Dār Al-Ma'ārif -Miṣr, 1976).

Al-Ziriklī, Khayr Al-Dīn ibn Maḥmūd. "Al-A'lām". (15th ed., Beirut: Dār al-'Ilm lil-Malāyīn, 2002).

Al-Sharīd, Tumāḍir. "Dīwān al-Khansā'". Investigated by: Karam Al-Bustānī. (3rd ed., Beirut : Dār Ṣādir, Lubnān, 2012).

Ibn Al-Ṣalt, Umayyah. "Dīwān Umayyah Ibn Al-Ṣalt". Investigated by: Samī' Al-Jubaylī. (Beirut : 1st ed., Dār Ṣādir, 1998).

Ibn 'Āshūr, Muḥammad Al-Ṭāhir. "Al-Taḥrīr wa-al-Tanwīr". (1st ed., Beirut: Mu'assasat Al-Tārīkh Al-'Arabī, 1420 AH - 2000).

Al-'Askarī, Al-Ḥasan Ibn 'Abdullāh. "Al-Furūq Al-lughawīyah". Investigated by: Muḥammad Ibrāhīm Salīm, (1st ed., Cairo – Egypt: Dār Al-'Ilm wa-Al-Thaqāfah lil-Nashr wa-al-Tawzī', 2009).

Ibn Fāris, Aḥmad Ibn Zakarīyā. "Mu'jam Maqāyīs al-Lugha". Investigated by: 'Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, (2nd ed., Beirut: Dār Al-Fikr, 1399-1979).

Al-Qifṭī, ʻAlī Ibn Yūsuf Al-Shaybānī. "Inbāh Al-ruwāh ʻalá anbāh Al-nuḥāh".

Ibn Kulthūm, ʻAmr. "Dīwān ʻAmr Ibn Kulthūm". Investigated by: Imīl Badīʻ Yaʻqūb. (Beirut : Dār Al-Kitāb Al-ʻArabī, 1411 AH - 1991).

Ibn Manẓūr, Muḥammad Ibn Mukarram. "Lisān Al-ʻArab". (1st ed., Beirut: Dār Ṣādir, 1398 AH).

١٣٨١
١٩٦١

Journal of

Arabic Language and Literature

Vol : 7 | Part : 1 | Jan - Mar 2023